مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية و الاتصالية
Eissn :2600-6863 Issn : 2353-050
المجلد 4/ العـدد 03 (2016)، ص: 120-139

وسائل الإعلام و السياسة الخارجية: من يصنع من ؟ - دراسة لنموذج الصحافة المكتوبة في فرنسا -

الأستاذة: سميرة بلعربي[1]
[1]جامعة العربي بن مهيدي " أم البواقي "- الجزائر
samira.isic@live.fr

تلعب وسائل الإعلام بمختلف وسائلها و دعائمها دورا هاما في حياة المجتمعات المعاصرة، فقد أضحت المصدر الأساسي لنقل الأخبار و المعلومات، كما أنها تقدم تفسيرات و تحليلات لمختلف القضايا و الأحداث الراهنة، و قد بلغ تأثيرها ذروته بتوجيهها لمسار هذه الأحداث، و هو ما يظهر جليا في المجال السياسي، و لاسيما منها مجال السياسة الخارجية، و رغم غياب دراسات إمبريقية تتناول بدقة هذه العلاقة، إلا أن أغلب الباحثين يشيرون إلى أن وسائل الإعلام قد تتحول إلى وسيلة في يد أصحاب القرار من أجل تمرير رسائلهم في مجال السياسة الخارجية.

و هو ما تعكسه بقوة الصحافة الأمريكية الملقبة بالسلطة الرابعة، لكنها في مجال السياسة الخارجية تتحول إلى تابع لأصحاب القرار، و الدليل هو حرب الخليج الثانية التي تم الدعاية لها و تحقيق الانتصار فيها إعلاميا، قبل القيام بذلك عسكريا، و نحاول في هذه الدراسة تحليل العلاقة بين وسائل الإعلام و السياسة الخارجية، و نظرا لاستحالة البحث في هذا المجال بشكل عام، فقد اخترنا نموذج الصحافة المكتوبة في فرنسا : **فما هو الدور الذي يمكن أن تؤديه وسائل الإعلام في مجال السياسة الخارجية، و ما هي الملامح الموضحة لهذا الدور من خلال نموذج الصحافة المكتوبة في فرنسا ؟**

1-مؤسسات صنع السياسة الخارجية الفرنسية :

تعرف السياسة الخارجية بأنها مجموع الأفعال التي تقوم بها الدولة في المحيط الدولي، و المعبرة عن أيديولوجية النظام السياسي و توجهاته الفكرية و الفلسفية، و الراعية للمصالح الوطنية للأمة، و المعبرة عن التمازج بين خصائص شخصية صناع القرار، و مدخلات النظام و الظروف الدولية القائمة، و الموارد المتوفرة و التي تتحقق عبر وسائل سلمية و غير سلمية [1].

و في فرنسا التي تتبنى النظام الليبرالي، توجد مجموعة من المؤسسات و الأجهزة الرسمية التي تتولى صياغة السياسة الخارجية، و التي تتمثل فيما يلي:

أ-رئيس الجمهورية :

يعد تحديد المصالح الإستراتيجية على المستوى الخارجي من الصلاحيات المتعددة التي منحها دستور الجمهورية الخامسة سنة 1958، لرئيس الجمهورية باعتباره الحكم الرئيس للسير المنظم للسلطات العامة، والضامن لاستمرار و بقاء الدولة و لاستقلالها الوطني و عدم المساس بإقليمها، و الساهر على احترام اتفاقياتها و معاهداتها الدولية، و مع ذلك فإن القرارات الإستراتيجية التي يتخذها الرئيس و ينطق بها رسميا، يتم التوصل إليها بوساطة مؤسسات رسمية أو شبه رسمية، الأمر الذي جعل من دوره انعكاسا لرؤى الجهاز التنفيذي للحكومة .

ب-الوزير الأول (رئيس الحكومة) :

إن تمسك رئيس الجمهورية الصارم بقيادة السياسة الخارجية الفرنسية و اتخاذ قراراتها المهمة و العمل على تطويعها لخدمة بلاده ، و توظيفها لتلبية متطلبات الديناميكية السياسية الداخلية (أحزاب، و منظمات و قوى ضغط، و رأي عام) المعبر عنها بواسطة الحكومة الفرنسية برئاسة وزيرها الأول، قد دفع بها – أي الحكومة لا سيما منذ سنة 1981 – إلى تأييد رئيس الدولة و مساندة مشاريعه باستمرار، و يعود سبب اصطفاف الجميع وراءه إلى العمل من أجل

إنجاح تجربة الحكم الاشتراكي التي يقودها، و إلى كونه صاحب السيادة الذي تصدر عنه كل التعيينات (السياسية و الدبلوماسية) في المراكز العليا للدولة، حتى و إن كانت العديد منها تتم بمعاونة الوزير الأول بالاقتراح منه[2].

ج- الحكومة (أعضاء الحكومة):

و هي تلك المؤسسات الحكومية التي تنجز وظائف لها علاقة مباشرة بالسياسة الخارجية، و التي نشارك بصيغة أو بأخرى بتحديد نوعية السلوك السياسي الخارجي للدولة، لا سيما منها وزارة العلاقات الخارجية ووزارتي الاقتصاد و الدفاع التي تساهم في بناء السياسة الخارجية الفرنسية.

بالنسبة لوزارة العلاقات الخارجية، يتلخص دورها في تجميع المعلومات المرسلة من البعثات الدبلوماسية، و إرسال التوجيهات إليها، و حق التصدر لاستقبال رؤساء الدول و ممثليها، و الوفود الدبلوماسية و تمثيل فرنسا في الخارج، و تطوير علاقاتها بهدف تحقيق مصالحها بالخارج.

أما تأثير الاقتصاد في السياسة الخارجية يكمن في دور تلك البعثات (الملحقات) الدبلوماسية الاقتصادية الدائمة للتجارة و المنتشرة على مستوى العالم، إضافة إلى سياساتها الخاصة بالصادرات و المساعدات الخارجية، ودور كل من المركز الفرنسي للتجارة الخارجية، باعتباره مؤسسة تكمن مهمتها في توزيع المعلومات و الدعاية في الأسواق الأجنبية لصناعتها و الترويج لها، و الجمعية الفرنسية للتبادل الاقتصادي مع الخارج، باعتبارها أحد أهم المؤسسات المكلفة بإعداد و تنظيم الاقتصاد الفرنسي، و علاقته في الخارج، و مكتب التعاون الفني و الصناعي، الذي يعد تجمعا يمثل الشركات المنخرطة في المجال الاقتصادي و الصناعي الفرنسي[3].

كما منحت عودة فرنسا إلى الحلف الأطلسي سنة 1996، لوزارة الدفاع فرصة المشاركة في الدبلوماسية المتعددة الأطراف حول الدفاع الأوروبي، عبر التنسيق مع وزارة الشؤون الخارجية ورئاسة الجمهورية، مما أتاح لها القيام ببناء مخططات ذات طابع إستراتيجي.[4] .

2- دور الأحزاب السياسية في صنع السياسة الخارجية في فرنسا:

تلعب الأحزاب السياسية في فرنسا دورا في اختيار صانعي القرارات عن طريق الترشيح و الانتخاب، مما يجعل السياسات الخارجية الفرنسية تتأثر ببرامج أحزاب صانعي القرار، كما أن الأحزاب تستطيع - من خلال مؤتمراتها و لجانها المختصة و كتلها في المجالس التشريعية- صياغة إستراتيجيتها و تحديد مواقفها من أهم الأحداث [5].

و عرفت فرنسا أحزابا سياسية مختلفة، لعبت دورا أساسيا في الحياة السياسية الداخلية و الخارجية، و توجد سبعة منها على الأقل لها تأثير مباشر في السياسة الخارجية الفرنسية عامة (و اتجاه الجزائر خاصة)، و هي تنقسم إلى ما يسمي اليمين، الوسط، اليسار*، و إن كانت تتفق كلها حول أهم النقاط الأساسية، فإنها تختلف في كيفية تحقيقها.

فاليمين يرتبط بالمجتمع الحالي و يعمل على الاحتفاظ بتنظيمه، و يقدم الحرية على المساواة، أما الوسط فإنه يحاول الإصلاح لكن دون قلب الأوضاع، و ينبني مفهومه للسياسة الخارجية في النظر إلى مصلحة فرنسا ووضعها فوق أي اعتبار، أما اليسار فهو يعمل من أجل تغيير جذري للمجتمع و يميل أكثر إلى المساواة، و يدعم توجه فرنسا إلى العالم الثالث و قيام علاقات جيدة مع الجزائر، و من أهم هذه الأحزاب[6]:

أ-مجموعة اليمين:

تؤكد أحزاب اليمين أنها الوريث الشرعي للديجولية ، تعمل على المحافظة على الوضع القائم، و تتمسك بالدستور و تقوية السلطة التنفيذية، و من أبرزها:

- **الاتحاد الديمقراطي من أجل الجمهورية UDR :**

عرف عدة تغيرات في تركيبته و تسميته، يعارض الهيمنة الأمريكية على أوروبا، ويدعو لتدعيم الحوار مع بلدان العالم الثالث و التعاون معهم، و التقرب من العرب خدمة لمصالح فرنسا الاقتصادية بالدرجة الأولى.

- **التجمع من أجل الجمهورية RPR :**

و هو يمثل استمرارية للمنشقين عن حرب الإتحاد الديمقراطي من أجل الجمهورية و مجموعة من الأحزاب الديغولية، و الذي أسسه و تزعمه "جاك شيراك"، من أهم مبادئه عدم تدخل الدولة في الاقتصاد بل توجهه فقط، ينادي بحرية أكثر لوسائل الإعلام و تطوير العلاقات الفرنسية العربية دون التورط في المشاكل الدولية.

ب-مجموعة الوسط:

و هي عموما تعارض اليمين و اليسار معا، و في بعض الأحيان تتحد مع اليمين أو اليسار حسب ما تمليه مصالحها، و هي تؤمن بدور المؤسسات الحرة في تطوير الاقتصاد، و تعمل على توحيد أوروبا و تقوية تنظيماتها و ارتباطاتها بالولايات المتحدة الأمريكية، و رغم أن بعض تياراته متعاطفة مع العرب إلا أنه يعارض أي تقارب فرنسي جزائري.

ج-مجموعة اليسار:

و من أهم هذه الأحزاب :

- **الحزب الاشتراكي الفرنسي PSF :**

أعيد بناؤه على يد فرانسوا ميتران سنة 1971، و هو يعمل على تطبيق نظام اشتراكي يرتكز على تأميم الشركات الكبرى، ينادي بالاشتراكية الديمقراطية و العدالة الاجتماعية و فسح المجال أمام الشعب للمشاركة في اتخاذ القرار، و هو يؤيد بناء أوروبا موحدة و تطوير القوة الدفاعية لفرنسا، له علاقات جيدة مع الجزائر و يدافع عن حقوق العمال المهاجرين و مساواتهم بالعمال الفرنسيين، و أراد ميتران من خلاله جعل العلاقات بين البلدين رمزا لعلاقات جديدة بين الشمال و الجنوب.

- **الحزب الشيوعي الفرنسي PCF:**

و يعمل هذا الحزب من أجل تطبيق نظام اشتراكي تكون فيه كل الشركات مؤممة و تعمل ضد التسلح، و ينادي بتقوية المنظمات الدولية، له علاقات جيدة مع الجزائر ويدعم قيام نظام اقتصادي دولي جديد.

يتضح لنا من خلال ما سبق مدى ملاءمة كل برامج من هذه البرامج، التي يتبناها كل حزب لإرساء علاقات جيدة بين فرنسا و الجزائر، بحيث يؤثر اتجاه كل واحد منها على هذه العلاقات و على الجالية الجزائرية المتواجدة بفرنسا، و هو ما يجعل الجزائريين يتابعون التطورات الداخلية الفرنسية باستمرار، خاصة ما يتعلق بالانتخابات التي لا تعني الفرنسيين فقط، فهي تمسهم في نقاط عديدة، أهمها المجرى الذي ستؤول إلية العلاقات الثنائية الفرنسية الجزائرية، ووضع الجالية الجزائرية الكبيرة في فرنسا[7].

3-دور وسائل الإعلام في مجال السياسة الخارجية :

توجد مجموعة تصورات عامة صاغها الباحثون في مجال الإعلام السياسي، لما يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام في مجال السياسة الخارجية، فقد أشار **"حميد مولانا"** إلى أن وسائل الإعلام يمكن أن تقوم بالوظائف التالية [8]:

- كمساند كبير لسياسات الحكومة و مدافعة عن الوضع القائم .
- كأداة دعائية و مطلب سابق للوصول إلى أية غاية .
- كمراقب لما تريده الحكومة .

تقوم مؤسسات الإعلام عادة بنشر المبادئ و الأفكار و المواقف و الأخبار بواسطة وسائل الاتصال الجماهيرية المتنوعة، بغرض الإقناع و التأثير على الأفراد و الجماعات محليا داخل المجتمع، و خارجيا لنقل المبادئ و الأفكار و المواقف و الأخبار لمواطني الدول الأخرى، من أجل خلق نوع من التأثير أولا، و من أجل تحقيق نوع من الحوار الثقافي ثانيا، متجاوزة الحواجز اللغوية، السياسية و الجغرافية، لتتحول المؤسسات الإعلامية ووسائل اتصالها الجماهيرية إلى مؤسسات إعلامية دولية .

و يعتبر الإعلام الدولي جزءا لا يتجزأ من السياسية الخارجية للدولة المستقلة المتمتعة بالسيادة الوطنية الكاملة، ووسيلة فاعلة من وسائل تحقيق بعض أهدافها السياسية الخارجية داخل المجتمع الدولي .

و يخدم الإعلام الدولي المصلحة الوطنية العليا للدولة، وفقا للحجم و الوزن و الدور الذي تتمتع به هذه الدولة أو تلك في المعادلات الدولية القائمة، و تأثيرها في الأحداث العالمية المستجدة كل يوم، و خاصة عند نشوب أزمات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو اضطرابات اجتماعية تطال تلك الدولة أو الدولة المجاورة لها، أو تطال مناطق المصالح الحيوية للدول الكبرى في أنحاء

مختلفة من العالم، أو في حال حدوث كوارث طبيعية أو أوبئة و أخطار بيئية تهدد الحياة على كوكب الأرض [9].

و لاعتبارات منهجية و تطبيقية متعددة، لا توجد دراسات إمبريقية تم إجراؤها على متخذي القرار و صاغي السياسات لمعرفة دور وسائل الإعلام في مجال السياسية الخارجية، لذا فإن معظم التصورات المطروحة هي تصورات نتاج الملاحظة الشخصية و الاستنباط، بالإضافة إلى الاعتماد على ملاحظات المقربين من متخذي القرارات و صانعي السياسات أو مذكراتهم و أحاديثهم.

و يمكننا من خلال استقراء نتائج عدد من الدراسات و الملاحظات الشخصية توضيح تصور متخذي القرارات لدور وسائل الإعلام في مجال السياسية الخارجية، و التي تأتي على النحو التالي [10]:

أ-وسائل الإعلام كوسيلة اتصال مع الدول الأجنبية و أداة تفاوض معها:

توجد حالات كثيرة تم استخدام وسائل الإعلام فيها من قبل بعض الزعماء كأداة رئيسية للاتصال مع نظرائهم في الدول الأخرى، لا سيما في أوقات الأزمات و ذلك لتوصيل رسائل سريعة لهم في حالة تعطل القنوات الدبلوماسية المعهودة أو بطئها في تنفيذ ما يوكل إليها، و في هذه الحالات تتخذ وسائل الإعلام أشكالا مختلفة في التوصيل، فقد تعمل كمكبر صوت و ترفع نغمة التخاطب أحيانا، أو تميل إلى أسلوب الهمس الدبلوماسي في أحيانا أخرى .

ب-وسائل الإعلام كوسيلة تنفيذ سياسات أو كوسيلة تمهيدية لذلك:

ففي عام 1986 مثلا، روجت الإدارة الأمريكية في وسائل الإعلام لقصة ، تزعم أن الرئيس الليبي السابق معمر القذافي سيرسل إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعض الفرق الإرهابية، لقتل الرئيس الأمريكي ريغان و بعض المسؤولين الكبار في أمريكا، و أن الرئيس السابق لـ CIA هو الذي سيمد هؤلاء الإرهابيين

بالمفرقعات و المتفجرات، كما سيتولى تدريبهم و أن هؤلاء الإرهابيين على أهبة الاستعداد في كندا أو المكسيك لتنفيذ المهمة .

و كان هدف الإدارة الأمريكية هو تهيئة الرأي العام المحلي و العالمي لاتخاذ قرارات ضد ليبيا، بل و للقيام بضربة عسكرية ضدها، و قد تم اختيار ليبيا لأنها عدو سهل بالمقارنة مع الإتحاد السوفيتي، يمكن إظهار تفوق الولايات المتحدة عليه، كما أن الولايات المتحدة كانت تهدف من ذلك إلى تحصيل الأنظار عن فشلها في التعامل بصورة فعالة مع مشكلات أكثر خطورة في أماكن أخرى.

ج- وسائل الإعلام كوسيلة لتبرير القرارات و السياسات:

إن معظم القرارات و السياسات التي تحكم حياة الناس و يصرون عليها و يؤمنون بها، هي نتيجة و جود مبررات و تفسيرات نجح متخذو القرارات و صانعو السياسات في إقناعهم بها، و يمكن من خلال تحليل بعض النماذج –التي كان عدم نجاح متخذي القرارات في استخدام وسائل الإعلام في تبريرها، سببا في انهيار السياسات المترتبة عليها- معرفة أهمية وسائل الإعلام بالنسبة لمتخذي القرار في هذا الخصوص.

و من بين هذه الأمثلة، عدم نجاح إدارة الرئيس الأمريكي جونسون في تبرير اجتياح القوات الأمريكية لفيتنام و محاولتها السيطرة عليها و إخضاعها، ما أدى إلى عديد المظاهرات في الولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت سببا في خروج الولايات المتحدة منها مهزومة [(11)].

4- البيئة الصحفية في فرنسا و طبيعة خطابها الخارجي:

إن الصحافة هي انعكاس دائم للسلطة السياسية و لثقافة و احتياجات المجتمع، و هو المبدأ الذي تشكل عبر التاريخ و أصبح جد تقليدي، و بالنسبة للصحافة الفرنسية فقد كانت دائما صحافة تعبير أكثر منها صحافة ملاحظة ،

فهي تمنح الأولوية للعمود و التعليق أكثر منها للتحرير و الريبورتاج، و بالنسبة لعرض الأحداث، فهي تهتم دائما بعرض الأفكار أكثر من تحليل الأوضاع، و تمسكت بانتقاد النوايا و التكهن بالنتائج، و عليه فهي تختلف بشكل أساسي عن الصحافة الأنجلوساكسونية الواقعية التي تحرص على فصل الخبر عن التعليق عليه، و عن الصحافة التحليلية و البيداغوجية الألمانية التي تهتم أكثر بتناول المواضيع أكثر من وصف الأحداث [12].

و تكشف الخريطة الصحفية الفرنسية عن عدة أبعاد مهمة في البيئة الوطنية للخطاب الصحفي الخارجي الفرنسي، و يمكن تحديد هذه الأبعاد على النحو التالي[13]:

- سيطرة المنطق الرأسمال-الذي يستهدف في المقام الأول تعظيم قدر الربح – في ميدان الصحافة المطبوعة و هو ما يدفع باستمرار إلى مزيد من التركز، وحدة المنافسة.
- الاهتمام بتوظيف الخطاب الصحفي خارج الحدود الفرنسية لخدمة القوى الاقتصادية الفرنسية.

و يلقي الخطاب الصحفي الخارجي الفرنسي منافسة حادة من جانب الصحف المحلية التي تسيطر على مساحة كبيرة من السوق الصحفي، و كذلك يلقى منافسة من جانب الصحف المتخصصة في الرياضة وشؤون المرأة و الصحة و البيئة و العلوم، كما تواجه الصحف اليومية الوطنية و خطابها الخارجي منافسة حادة من جانب المجلات الأسبوعية، التي يفوق معدل قراءتها المنتظمة نظيره في الصحف اليومية.

- و تكتمل أبعاد البيئة التنافسية الحادة التي تعمل فيها الصحف اليومية الوطنية، و التي يتم من خلالها إنتاج الخطاب الصحفي الخارجي، بالموقع المتميز الذي يحتله التلفزيون في سياق التطورات التقنية الحديثة، التي أتاحت تعدد

القنوات التلفزيونية و تنوعها، و إمكانية استقبال الإرسال التلفزيوني الذي يجري بثه من دول أخرى، و هو الأمر الذي جذب أعددا كبيرة من القراء، و كذلك استحوذ التلفزيون على قسط كبير من السوق الإعلاني، و أسهم في دفع الصحف إلى الانخراط في دوائر المحلية و التخصص الشديد و مخاطبة أذواق و ميول بذاتها.

إن باريس هي العاصمة التي تطرح أكبر عدد من اليوميات أمام قرائها حسب إحصائيات عام 2008، و هي اليوميات الإخبارية العامة و السياسية الثمانية **، و قد عرفت سنة 2008 كذلك إنشاء يوميتين رياضيتين و هما " le 10sport " و " aujourd'hui sport " و من بين الصحف اليومية أيضا يمكن إحصاء 5 عناوين جديدة رائدة و هي " paris turf " " bilto "، " paris courses "، " week-end "، " tiercé magazine " [14].

تشكل العناوين الثلاثة " لوفيغارو"(le figaro) و " لوموند " (le monde) و "ليبيراسيون" (libération)، نوعا منفصلا يمكن تصنيفه ضمن " صحافة الذوق العالي " التي تضاهي مستوى هذا النوع من الصحف سواء في ايطاليا، اسبانيا أو ألمانيا ، وتتميز هذه اليوميات بمستوى جد متطور في معالجة الأخبار، سواء من ناحية تنوع مجالات المعالجة أو التعمق في كل موضوع، و تحتل المواضيع الدولية مساحة كبيرة فيها، كما تشكل مجالات السياسة و الاقتصاد و الثقافة نقاط قوة إضافية لها [15].

5- الصحافة الفرنسية و السياسية الخارجية: علاقة تأثير أم تأثر؟

ارتبط تطور الصحافة الفرنسية بتطور السلطة السياسية نفسها، و هو ما يبرر تركيز مجمل المراجع الفرنسية حول تاريخ الصحافة عموما على التاريخ السياسي لفرنسا، حيث يتم تقديم دور الصحافة بشكل ضمني و صريح على أنه

دور سياسي، فالصحف إذن هي مجرد منابر تستعمل للتدخل في الساحة السياسية و التأثير على الرأي العام .

و نجد من بين هذه المراجع كتاب " **شارل ليدري** " (charles ledré) الذي تناول فيه تطور العلاقة بين الصحافة و السلطة، و كذا الحملات من أجل حرية الصحافة و اتجاه مختلف الأنظمة السياسية (الملكية، الإمبراطورية، الجمهورية...) نحو الصحف، و قد تعرض لتاريخ الصحافة وربطه بشكل كبير بالأحداث السياسية[16].

و يحدد الإطار القانوني جانبا من جوانب العلاقة بين الصحافة و السلطة السياسية في فرنسا ، مقررا استقلال الصحافة، و ضامنا لإصدارها بعيدا عن قرار السلطة، و مانحا في الوقت نفسه للسلطة صلاحيات نحو الصحف في موضوعات محددة و في أوقات معينة، و لكن إطار الممارسة يحدد الجوانب الأخرى لهذه العلاقة على النحو التالي[17] :

- تملك السلطة السياسية سلاحا موضوعيا فعالا في مواجهة الصحافة، و هو سلاح المعلومات التي تستحوذ عليها إدارات الدولة و مؤسساتها المختلفة ، و تستطيع السلطة التحكم بعنصر المعلومات، و رسم خطوط معنية لكل الصحف و أيضا لكل وسائل الإعلام وفقا لدرايتها بسياسة كل وسلة ووعيها بالمنافسة الشديدة بين الوسائل الإعلامية المختلفة، و إمكانية استغلال هذه المنافسة من جانب السلطة عن طريق منح المعلومات التي تريد لمن تريد وقت تريد، و هو الأمر الذي يضع الصحافة في مكانة تابعة للسلطة.

و في هذا السياق أضحت عملية تسريب المعلومات من جانب المسؤولين في الحكومة - سواء في إطار الصراع بين أعضائها أو بهدف التأثير في الرأي العام بشأن قضية معنية – ممارسة منتشرة.

- تلعب الدولة في فرنسا أدوارا أكثر فاعلية و اتساعا و مركزية من مثيلاتها في دول عديدة، و لذلك تعد الصحافة الفرنسية أقل عداءا للسلطة، و تبدو أكثر تسامحا في مواجهتها عن نظيرتها في الولايات المتحدة على سبيل المثال.
- تلتزم الدولة في فرنسا بتقديم مساعدات اقتصادية عديدة للصحافة المطبوعة في شكل إعفاءات أو تخفيضات ضريبية...الخ، و رغم عدم كفاية هذه المساعدات إلا أنها تمثل في نظر البعض وسيلة ضغط يمكن أن تمارسه السلطة بدرجة أو بأخرى.
- تتماثل المرجعية الاجتماعية و الثقافية للصحفيين و السياسيين و تبرز حاجة كل جانب إلى الآخر، و ما يتبع ذلك من تعامل منتظم و مستمر، و تبادل للخدمات المختلفة، إذ أصبح الصحفي أكثر اعتمادا على السياسي من أجل الحصول على مجموعة من المعلومات التي تتحكم فيها السلطة ، كما أن مستقبل السياسي قد بات بدوره يعتمد أكثر فأكثر على الوسائل الإعلامية بما فيها الصحافة، و مما يؤكد قوة هذه العلاقة ما عبر عنه الرئيس الفرنسي السابق " فرانسوا متيران" في معرض تنبيهه إلى ضرورة عدم التمادي في ممارسة انتقاد السلطة التنفيذية ، إذ خاطب من يلحون في طلب أكبر قدر من الحرية في هذا الصدد قائلا:" إذا اعتقدتم أنكم ستخرجون معافين من النقد المفرط الذي توجهونه، فإنكم بذلك تخدعون أنفسكم، إذ أننا معشر الطبقة السياسية الإعلامية نمثل من زاوية معينة رسلا للجمهورية "[18].

و إذا أردنا تحليل العلاقة بين الصحافة و السياسة الخارجية الفرنسية فيمكن الرجوع إلى الماضي الاستعماري لفرنسا فقد ساهم الصحفي " رايموند كارتيي " (Raymond cartier) في انتشار فكرة أن المستعمرات تكلف أكثر مما تجلب لها، و حث على تفضيل " لاكوريز " (la corrése) و هي المقاطعة

الفرنسية رقم 19 ، على نهر" زامبيز " الذي يقع في دولة زامبيا وسط القارة الإفريقية، خاصة و أن فكرته لاقت تأثير جزء من البورجوازيين، و في الوقت نفسه، حظيت تقارير مجلة " ماتش " (match) الشعبية الكبيرة بمقروئية واسعة تقدر بـ 5 مليون، فقد ساهمت تغطيتها لمعركة " ديان بيان فو " (diên biên phû) في خلق وعي حرر الفرنسيين من الأوهام، حيث وقفت وقفة إجلال للجيش الفرنسي بعد الخسارة التي لحقت به و أشادت بشجاعة الجنود و تضحياتهم، و هو ما ترك الانطباع بأن الحرب التي تخوضها السلطة الفرنسية لا أمل منها، و ربما لا هدف من ورائها أيضا.

و فيما يتعلق بالمسألة الجزائرية، فقد خاضت " لونوفيل أبسرفاتور" نضالا لصالح جبهة التحرير الوطني، كما كانت تتحدث بشكل دائم عن التعذيب و عن تجاوزات الشرطة و قمع المظاهرات في فرنسا خلال ثلاثينات القرن الماضي، و يدخل كل ذلك في إطار حملة اليسار ضد الاستعمار، و بالمقابل عبرت " لكسبرس " هي الأخرى عن نضالها حول نفس المبادئ، ما برهن للحكومة الفرنسية على أن جزءا من الناخبين على الأقل يريد إنهاء المسألة الاستعمارية.

إن تأثير هاتين الأسبوعيتين يؤكد فرضية تأثير الصحافة التي حدت بشكل كبير من حرية تحركات الحكومات المتتابعة، بمضايقتها للجيش و الوزارات، و كشفهما المنتظم للتعذيب، و لعبت بالتالي الصحافة الفرنسية دورا تاريخيا من خلال تنبيه الرأي العام و الرقابة النقدية للحكومة [19].

لكن تأثير الصحافة الفرنسية على السياسة الخارجية لبلدها لم يكن دائما مثاليا، فنجد مثلا أن الصحفي" ج.باستور"(j.pasteur) اختصر العلاقة بين وسائل الإعلام و الحرب، و عبر عن المعارك بين التونسيين و الفرنسيين في بنزرت في 18 جويلية 1961، و اختصرها في الأمر الذي تلقاه من مدير الإذاعة و

التلفزيون الفرنسي (RTF) في تلك الفترة، حيث قال له " عزيزي باستور، هذا المساء، قبل أن تكون موضوعيا، يجب أن تكون فرنسيا ".

و هو ما يوضح أن وسائل الإعلام في هذه الحالة تتحول إلى وسيلة ، فقد أجبرت الصحف الجهوية في ظل نظام فيشي (vichy) على الترويج لحكومة ب. لافال، بفضل تعويض مدراء الصحف بمراقبين يعملون لصالح الحكومة و جيش الاحتلال[20] .

كما استعمل نظام ديغول الحجز على الصحف بسبب معارضتها لإصرار الرئيس الفرنسي على الإبقاء على مستعمرة الجزائر، فقد تم الحجز على 40 عددا من " لاكروا " خلال الفترة مابين عامي 1957 و 1960، كما تم الحجز على " لوموند " أو منعها 37 مرة خلال عام 1958، و مرتين لـ " فرانس سوار"، بينما حجز على " لورور" 06 مرات خلال عام 1960، و منعت " لكسبرس" من الصدور منذ 15 ماي إلى غاية 28 أوت 1958، كما تعرضت " لوكانار أونشيي" للحجز أو التأخير عدة مرات خلال أسبوع، و طبق الحجز أيضا على " تيمواني كرتيان " (témoigne chrétien) 50 مرة منذ عام 1955، و 4 مرات لـ" شاري فاري" (charivari)، و خلال الفترة الممتدة من ماي 1960 إلى غاية نوفمبر 1960، تعرضت بعض العناوين الأسبوعية فقط للحجز، بما معدله 8 مرات لـ " لكسبرس" و 5 مرات لـ " ريفارول" (Rivarol) و 3 مرات لـ " كارفور "، مرتين لـ " تيمواني كريتيان " و مرة واحدة لـ " لوكانارد أونشيني ".

و بالنسبة للحجز على الصحف في العاصمة باريس ، نجد أنه خلال الفترة الممتدة ما بين 1955 و 1960، طبق على " لومانيتي" 15 مرة، و على" ليبيراسيون " مرتين، و 12 مرة على " فرانس أبسرفاتور"، عدة مرات على " لكسبرس "، مرتين على " ريفارول "، مرة واحدة ضد " شاري فاري "[21] .

و قد علق الصحفي " بيير بريسون " في يومية " لوفيغارو" على نظام الحجوزات، و قال مخاطبا السلطات الفرنسية " نريد أن نقنع ديبري و الجنرال ديغول ، بأنه في ظل الديمقراطية، و أمام أمة حرة و في فرنسا أكثر من غيرها، لا شيء يمكن أن يحدث دون الصحافة، و لا يمكن الوصول لشيء من دونها أيضا " [22].

أما خلال فترة الأزمة الأمنية، فقد سيطر الحدث الجزائري على اهتمام الأوساط السياسية و الإعلامية الفرنسية، و التي أجمعت معا على أن الانتصار المذهل الذي حققته جبهة الإنقاذ قد يشكل عبئا على العلاقات الفرنسية الجزائرية [23]، و الملاحظ أن الصحف الفرنسية، و بعد أن توجهت السياسة الخارجية الفرنسية لدعم النظام الجزائري اقتصاديا، حذرت و عبرت عن خوفها من انعكاسات هذا الدعم على فرنسا نفسها، و هو ما حدث بعد أن استهدفت العمليات الإرهابية المصالح الفرنسية في الجزائر، بالإضافة إلى انتقال العنف إلى داخل فرنسا، و غيرت فرنسا من سياستها و اتبعت سياسة الحياد اتجاه ما حدث في الجزائر، عملا بما كانت توصي به الصحافة الفرنسية خدمة للمصالح الفرنسية.

الخاتمة:

إذا أمعننا في تعامل الصحافة المكتوبة في فرنسا مع المسائل المتعلقة بالسياسة الخارجية الفرنسية، فنجد أنه لما يتعلق الأمر بالقضايا المصيرية الحاسمة، فتختار هذه الصحف المصلحة الفرنسية، حتى لو كان ذلك على حساب المبادىء الديمقراطية، كما فعلت معظم الصحف الكبرى خلال تعاملها مع تنامي ظاهرة الإسلام السياسي في الجزائر، رغم أنها عارضت في البداية إلغاء المسار الانتخابي على اعتبار أنه تهديد للعملية الديمقراطية في الجزائر.

وعندما تصطدم هذه الصحف و تعارض مواقفها توجهات السياسة الخارجية، فتتعرض للوقف أو المصادرة (و هي حالات نادرة حاليا) كما حدث أثناء الثورة الجزائرية، و على العموم فإن ظاهرة التمركز جعلت من معظم كبريات الصحف في فرنسا خاضعة لمجموعات احتكارية، يمثل أصحابها جماعات ضغط ذات صلة مع أصحاب القرار في فرنسا، و عليه تحدد هذه العلاقة إلى حد كبير طبيعة العلاقة بين الصحافة المكتوبة و السياسة الخارجية في فرنسا، و هي علاقة تكاملية لأن وسائل الإعلام تحاول كشف عيوب السياسة الخارجية من أجل تصحيحها من خلال المناقشة الجماهيرية للمسائل الحساسة و الحاسمة، في حين أن السياسة الخارجية تملي على وسائل الإعلام في بعض الأحيان كيفية توجيه الأمور من أجل مصلحة فرنسا .

الهوامش :

(1)- مصباح عامر: معجم مفاهيم العلوم السياسية و العلاقات الدولية، ط1 ، المكتبة الجزائرية، الجزائر، 2005، ص 106.

(2)- سعود صالح: الإستراتجية الفرنسية حيال الجزائر (منذ 1981 إلى الآن- دراسة مستقبلية-)، طاكسيج كوم، الجزائر، 2009، ص (144-143).

(**3**)- نفس المرجع السابق: ص (147-150).

(**4**)- نفس المرجع السابق: ص152 .

(**5**)- منصف السليمي: القرار السياسي الأمريكي، ط1 ، مركز الدراسات العربي – الأوروبي، واشنطن-باريس، 1997، ص 233.

***ملاحظة** : اليمين و اليسار مصطلحان يرجعان تاريخيا إلى مكان جلوس النواب البريطانيين في البرلمان، فالمعارضون يجلسون إلى يسار رئيس البرلمان، في حين يجلس المؤيدون للحكومة في المقاعد الواقعة على يمين رئيس البرلمان ، و أصبحت تطلق هذه التسميات على الاتجاهات المحافظة أو الثورية.

(6) – بلعيد منيرة ، السياسة الخارجية الفرنسية الجديدة اتجاه الجزائر1992-2002: مذكرة ماجستير في العلوم السياسية ، جامعة منتوري قسنطينة ، السنة الجامعية 2004-2005 ، ص (39-40).

(7) نفس المرجع السابق: ص (40-41).

(8) -أيمن منصور ندا : الصور الذهنية و الإعلامية (عوامل التشكيل و إستراتيجيات التغيير)، دط، المدينة برس، القاهرة ، مصر،2004، ص141.

(9)-محمد البخاري، الإعلام الدولي والسياسة الخارجية:
http://bukharimailru.blogspot.com/2009/08/blog-spot_8891.html
،26أوت2009.

(**10**) -أيمن منصور ندا: مرجع سبق ذكره، ص (132-134).

(11)- نفس المرجع السابق: ص(137-138).

(12)- pierre Albert : la presse française , la documentation française, 2008, page 47.

(13)- كمال قابيل محمد، المعالجة الصحفية للأحـداث الخارجية في الصحافة المصرية و الفرنسية : رسالة دكتوراه في الإعلام ، جامعة القاهرة ، 1996 ص(89-90).

****ملاحظة:** و هي aujourd'hui ، la croix ، l'humanité ، le figaro ، France soir ، libération، le monde ، présent ، و اليوميتين الاقتصاديتين la tribune ، les échos و يومية رياضية l'équipe .

(14) –Francis balle : Médias et sociétés**,** 14 édition, montch-restien (extenso éditions), paris, France, 2009, page 73.

(15)- Jean-Marie Charon : la presse quotidienne , éditions la découverte ,paris, France, 2005, page 09.

(16)- Charles ledré : histoire de la presse (les temps et les destins), fayard, paris, France, 1958, page 411.

(17)- كمال قابيل محمد : مرجع سبق ذكره ، ص(93-94).

(18)- نفس المرجع السابق: ص 95.

(19)- Catherine bertho lavenir : la démocratie et les médias au 20^{e} siècle, Armand colin, paris, 2000, page 212.

(20)- Jacques le bohec : les rapports presse- politique**,** l'harmattan, paris, France, 1997, page 229.

(21)- Claude Bellanger et autres : histoire générale de la presse française (de 1958 à nos jours), 1^{ére} édition, tome 05, presses universitaires de France, paris, France, 1976, page 173.

(22) – Ibid : page 174.

(**23**)- قبي آدم ، ظاهرة العنف السياسي في الجزائر (1988-1999): أطروحة دكتوراه دولة في العلوم السياسية ، جامعة الجزائر، 2003 ، ص185.